لقد كنت يوماً جميلة

شعر: د. محمد وليد
سورية

جف ماء الحياة في عروقها، ومازالت تستجدي الأصباغ والمساحيق.. وجراحات التجميل لإيقاف مسير الزمن.

لقد كُنت يوماً جميلةْ..
وكانت عيونك أحلى العيون الكحيلةْ
وكانت تحوم القلوب عليك
كنحل البراري يُحوم فوق زهور
الخميلةْ
لقد كنت بنت الجمال
تمدين شعرك بحراً..
فيغرق كل شباب القبيلةْ
وكانت رموشك مثل السهام الطويلةْ
وكانت عيونك مثل السيوف الصقيلةْ
وكنت ربيعاً أنيقاً
يتيه دلالاً..
بورد الخدود الأسيلةْ..

* * *

وها قد أتاك زمانُ الخريف
وجاءت ثلوج الشتاء الطويلةْ
وجاء إليك رسول العمرْ..
وصارت تجاعيد وجهك مثل الندوبِ
بوجه الحجرْ
وأعجازك الخاوياتُ..
كأعجاز نخل ذوى وانقعرْ
ولم يبق من نار حُبك..
غيرُ الرماد.. وذكرى الشررْ

تمر الغرابين تنعب بين الطلولِ..
وترثي شباباً مضى واندثرْ
فيا من تلوذ بتلك العهود الجميلةْ
لقد كنت يوماً جميلةْ
وقد هجرتك طيور الخميلةْ
ومازلت في الغنج مثل فتاة جهولةْ..
تريدين أن تستعيري شباباً..
وقد راح زين الشبابِ
وعاف خيولهْ
فمالك في الحب مثل القتيلةْ؟
إذا ما صبغت الشفاهَ..
فمن ذا يشد العظام النحيلةْ؟
وإما استعرت من الشعر أحلى جديلةْ
فهل تستعار عهود الطفولةْ؟
وإما استعرت الرموش الكحيلةْ..
فهل تستعار القلوب النبيلةْ؟

* * *

أكاد أقيءُ
إذا ما ظهرت على شاشة الرقص
كالأفعوانِ..
تميلين مثل السكارى..
على نغمات الأغاني..
تهزين خصرك كالبهلوانِ
فتعوي ذئاب الرذيلةْ..
ويُهتك ستر الفضيلةْ..

* * *

أيا من تُمسك بالغد.. والنهدِ
والضحكات الهزيلةْ..
أليس لديك جمال سوى هزة البطن
بين السكارى..
وبحة صوت الغناء العليلةْ
ألا تؤمنين بأن الوقار جمالْ..
ومسح دموع اليتامى جمالٌ..
وتسريح شعر الحفيدة يوم الزفافِ
جمالٌ
وأن الأمومة أم الفنون الجميلةْ
ألا تشعرين بأن الشروق جمالٌ..
وأن الغروب جمالٌ
وأن الشموس ستطفأ يوماً..
ونجم الصباح سيدرك يوماً أفوله

* * *

تُريدين إيقاف نهر الزمانِ..
عن الجريانِ..
بُحزمة قشٍ..
وذلك وهمٌ يشوه معنى الحياةِ..
وتلك أمانيك المستحيلةْ